قَبَس

(1)

اقتباسات من كتاب: السيرة النبوية
كما جاءت في الأحاديث الصحيحة
لمؤلفه: محمد الصوياني.

سعيد أحمد آل معبّر

(1)

(42/1) : لم يكن محمَّد - صلى الله عليه وسلم - شابًا خاملًا تتعثر به الحياة، فيقتات من نسبه، ويستطعم من شرفه، لقد كان حياة للحياة، يحمل فأسه لصخورها، ويشق طريقه بذراع مفتول، وجبين مرفوع، وشباب متج(، تعاملت معه قريش كلها، حتى اقتطع منها لقبًا طغى على كل اسم هو له، ولم يكن ليحصل على ذلك اللقب لو كان قد رضي بالوقوف على أطلال آبائه وأجداده يُذكِّر من يمر بها ويكتفي، لقد دخل عليهم وهم مجتمعون حول الكعبة، فقالوا بصوت واحد: "أتاكم الأمين".

(2)

(1/ 97) لقد علمنا التاريخ دروسًا عديدة، وما زال يعلمنا أن للطغاة موقفًا من المؤمنين الدعاة عجيبًا، هذا الموقف يقول: "من كان داعية فهو عدوي"، وقد يكون الطاغية مخيرًا أو مسيرًا أو ساذجًا، لكن هذا الموقف لا يتغير. ومن يعير سمعه وبصره للتاريخ والأيام، يجد المشانق والزنازين تئن أمامه من رقاب الدعاة وأجسادهم الطاهرة، حتى رياح الحرية التي تهب أحيانًا على الشعوب نراها تمر على الجميع وتستثنى الدعاة فهم ينتزعونها انتزاعًا بدمائهم، ويمنحونها للجميع حرية للبشر للشجر، لكل من حوته السماء وساح على وجه الأرض. ولم تكن سمية بنت خياط أول الشهداء ولا آخرهم، ولا كان أبو جهل أول المتسلطين ولا نهايتهم.

(3)

(162/1) ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ولو جمعهم سبحانه وأرغمهم على الهدى لسلب منهم الحرية والإرادة، كما سلبها من سائر المخلوقات، لكنه فضلهم وكرمهم بهذه الإرادة فهم يختارون طريقهم، وسيحاسبون عليه، لأنهم حملوا الأمانة التي عجزت عنها السماوات والأرض والجبال، وهي الإرادة، هذه الحيوانات ستصير يوم القيامة ترابًا لأنها مسلوبة الإرادة، إنها جزء من هذا الكون المسخر للإنسان، المعجون لابن آدم يتصرف فيه كيف يشاء، ثم يحاسب في نهاية المطاف على تصرفه ذلك، وهنا تنتصب الحقيقة ماثلة أمام الجميع: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾.

(4)

(207/1) بلال في الأرض، في مكة سلعة تباع وتشترى وتعرض في الأسواق، لا يملك بيتًا، ولا يملك نفسه، لكن في أعماقه بلال آخر، بلال مسلم متوثب مزق الشرك والخضوع، يتبختر في القصور هناك في النعيم، في الجنة حيث سمعه - صلى الله عليه وسلم -، سيدًا من سادات الأرض والإسلام.
في عالم الجنات حيث لا عين رأت مثل ذلك الحب والجمال والأنوار، ولا أذن سمعت، ولا خطر شيء من ذلك في خيال بشر مهما هام وأبدع، وتألق أو غاص عوالم الأحلام والأماني، أشرع الله أبوابها للموحدين ونثر مفاتيحها في دروب الجميع فمن تخلف فلا يلومن إلا نفسه.

(5)

(256/1) قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب ليلة هاجر:" نم على فراشي، واتشح ببردي الحضرمي الأخضر، فنم فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم " وامتثل الفارس الشاب لأمر سيده - صلى الله عليه وسلم -، واتشح بالبرد، وكان على استعداد ليتشح بالدماء، فقد علمه الإسلام كيف يبذل روحه لله وحده، علمه كيف يكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحب إليه من نفسه.

(6)

(257/1-258) قال أبو بكر لرسول الله عند غار ثور: كما أنت. حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه فإذا كانت فيه دابة أصابتني قبلك " لقد كان أبو بكر طيفًا من الحنان، سحابة من الحب تظل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كأني به يود لو صنع من جسده درعًا يحمي به رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حتى يصل إلى أحبابه المنتظرين في حرة المدينة وبين نخيلها.

فلا عجب أبدًا بعد هذا أن يحمر وجه عمر بن الخطاب غضبًا على رجال فضلوه على أبي بكر، لقد كان عمر يعرف من هو أبو بكر، فقد ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر، فقال رضي الله عنه: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من عمر، لقد خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ليلة انطلق إلى الغار، ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا أبا بكر ما لك تمشى ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟ " فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟ " قال رضي الله عنه: نعم. والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ، فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله. فنزل ثم قال عمر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر.

(7)

(272/1) غادرها - صلى الله عليه وسلم - بعد أن ضاقت به ، وغادرها الصحابة كلهم نحو مدينة مفتحة الأذرع والأبواب ، للهاربين للخلاص ، للحاملين سورة الإخلاص ، غادروها إلى مدينة عطوف ، يحن فيها كل شيء ، حتى الجذع يحن إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، حتى الحجارة فيها بادلت الصحابة عشقًا ، ألم يلتفت - صلى الله عليه وسلم - إلى جبل أحد فيقول: "أحد جبل يحبنا ونحبه" إن الهجرة ترافق الشمس كل صباح تحيي الغرباء وتقول لهم: إذا أتقنتم أعمالكم تحولت مدن العالم إلى مدائن للحب والأنصار ، وشغفت جبال الدنيا بكم ، كما شغف جبل أحد بأسلافكم

(8)

(280/1) وَدَّع حبيبته وهي لا ترد ، ولو أجابت لأبكت من حولها ، ودع حبيبته ، تركها وهو كاره ، حالت الجاهلية بينه وبينها ، لم يستطع البقاء بين أبياتها وجدرانها ، فحملها في قلبه وارتحل ، وتمر أيام وأعوام ، ويكبر ذلك الحب ، ويزداد به الشوق ، فيقسم بالله لها أنه ما زال يحبها "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أُخْرِجتُ منك ما خرجت" ، "ما أطيبك من بلدٍ وأحبَّكِ إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك لم يستبدل - صلى الله عليه وسلم - حبًا بحب، بل أضاف حبًا إلى حب، إنه يتجه الآن إلى يثرب، يثرب!! لا إنها ليست يثرب، فلا يثرب بعد اليوم، لقد وهبها قلبه.

(9)

(340/1) إن أخوة النسب تركض وتركض، وتلهث وتتعب فلا تستطيع الإمساك بما أمسكت به أخوة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، لقد حولت دار أنسٍ سعد بن الربيع ربيعًا يتقلب فيه عبد الرحمن بن عوف، ربيعًا أنصاريًا، يتنقل فيه عبد الرحمن ويسافر فلاً يجد له حدودًا، يبحث عن أطرافه فلا يرى سوى الربيع أينما حل، أينما اتجه، وعندما يحاصره هذا الكرم يتوجه بقلب المتيم المأخوذ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشتكي من هذا الحب، ومن هذا الكرم، يتوجه هو والمهاجرون، ويقول هو و "المهاجرون: يا رسول الله: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساةً في قليل ، ولا أحسن بذلًا من كثير ، لقد كفونا المؤونة ، وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال - صلى الله عليه وسلم:- "لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم".

(10)

(341/1) لم يكن هناك ازدحام من المهاجرين على أبواب إخوانهم الأنصار ، لكن كان هناك ازدحام بين القلوب الأنصارية على أحبابهم المهاجرين ، كانت الأنصار أمواجًا من الرحمة تغمر إخوانهم المهاجرين وتنعشهم بعد طول مسير وطول حرمان وعذاب ، حتى لقد " اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين " ، أي حب هذا ، كانت أيدي الطواغيت تتخطفهم بالسياط واللكمات ، وهذه هي الأيدي المتوضئة تمسح آثار السياط وتمسح الدموع والجراح وتحمل هؤلاء الغرباء إلى حيث الرحب والسعة ، الفقراء من الأنصار كانوا أسرع من الأغنياء ينافسونهم ويطلبون القرعة أيضًا ، فالحب والكرم ليس حكرًا على أحد ، فالصدور أفسح من المنازل ، والكلمات ألذ من أطايب الطعام ، والشهادة تنزل من فوق سبع سماوات ، شرفًا للأنصار يفخرون وأبناؤهم بحمله ، الشهادة لهم لم تأت من بيت شعر مدفوع الثمن ، أو خطبة من فصيح يبتغى بها قربى ، الشهادة جاءت من أكرم الأكرمين ، من خالق الكرماء ومعطي الأغنياء ، آيات تتلى إلى يوم القيامة ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، المرء يُمدح إذا كان كريما ، ويُمدح أكثر إذا كان يقدم للآخرين كل ما عنده ، لكن أن يكون محتاجًا أشد الحاجة فيقدم للآخرين حاجته الملحة فذلك كرم انتزعه الأنصار .

(11)

(35/2) كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم لما بهم من الخصاصية وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين ، فإذا قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاته انصرف إليهم فيقول: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أنكم تزدادون حاجة وفاقة ، قال فضالة: فأنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومئذٍ" حيث كان يواسيهم ويدفع عنهم ما يؤلمهم بشيء يهون معه الجوع ، وتحلو معه المعاناة ، يعزيهم بشيء يحول الموت وما بعده إلى أمنية وحلم لا حدود له ، ومع هذا العزاء ، ومع هذه المواساة كان -صلى الله عليه وسلم- يتألم لتألمهم ، ويتألم مثل ألمهم.

(12)

(2/39-40) إن من يطلع على تلك المآسي التي تلوَّى منها أولئك الفقراء العظماء ليظن أن هؤلاء مجرد فقراء مساكن جاءوا يبحثون عن الطعام والشراب والمأوى ، وهم -والله- ما قدموا من أجل لقمة أو رغيف ، ولم يتسللوا من أجل صُفة متواضعة إذا ضربها المطر ساعة أمطرت عليهم ساعات ، وابتلت ثيابهم وجنوبهم وظهورهم والأرض التي يتوسدونها ، إن هؤلاء العظماء ، فروا من العيش الرغيد وتركوا الأهل والأموال والعشيرة وربما الخدم ، تركوا الدنيا بكل زخارفها لأنها كانت تركن إلى صنم ، لأنها كانت تلوذ بغير الله ، واتجهوا بكليتهم ، بعواطفهم ومهجهم إلى الله سبحانه وتعالى ، وتسللوا والناس نيام إلى صفة لا تقي من البرد ولا من الجوع ، لكنها صفة تستدفئ بمسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبقرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يعمرها القرآن ، ويزينها الإيمان .

(13)

(2/40-41) يسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عائشة -رضي الله عنها- : " أين كنت ؟ قلت: يا رسول الله سمعت قراءة رجل في المسجد ما سمعت مثله قط، فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتبعته، فقال لي: ما تدرين من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا" عبد فقير يفخر به -صلى الله عليه وسلم-، ويشكر الله سبحانه أن وهب هذه الأمة مثله، إن أمة تفخر بالموالي والعبيد كما تفخر بالأشراف لأمة عظيمة، وإن دينًا يتساوى فيه البشر ليستحق الخلافة في الأرض، كل الأرض، ويستحق أن تنقطع الأعناق في الصحاري والقفار بحثًا عنه.

(14)

(2/68) ثلاثمائة ليس معهم إلا فَرَسَان ، فماذا عن البقية ، إنك لو نظرت مرة أخرى إليهم ، لنظرت إلى مشهد خلاب ، رغم الفقر والحفاء والعوز ، لن تجد أحدًا يسير على قدميه كل الطريق ، ولن تجد أحدًا يركب كل الطريق ، كانت قافلةً من القلوب والمشاعر قادها - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر.

(15)

(2/94) يقول - صلى الله عليه وسلم -: "موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود" وإن "للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان, ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين من أهل بيته" إن من يسمع ذلك وغيره ليهون أمامه الموت والفناء، بل إن الموت يهون ويسهل للشهيد حقًا، فالموت يداعب الشهداء مداعبةً، بشر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة" إن من يستمع إلى هذه الأحاديث وهو على سريره سيبحث عن أي معركة يكون فيها شهيدًا، فكيف لو سمعها رجل يحمل سلاحه وسط الصفوف، لقد ثارت المعارك في نفوس الصحابة، واستعر لهيبها في دمائهم!.

(16)

(121/2) ماذا يساوي ألم الموت أمام تلك القصور الفاتنة، والشوارع الفسيحة الساحرة، والملابس الراقية الأنيقة، والأجساد الشابة الغضة الفاتنة التي سينعمون بها والتي لا تعرف المرض ولا الهرم، ولا الترهل ولا الشحوم ولا الشحوب ولا القبح. لن تهم الطعنات إن كل طعنة بوابة للخلود الذي لا يعرف الموت، والغنى الذي لا يعرف الخوف، إنها الجنة حيث لا عين رأت مثل جمالها، ولا أذن سمعت بروعة جمالها، ولا خطر على بال بشر مستواها ومستوى البهجة داخلها.

(17)

(165/2) هذه هي قصة يهود بني النضير ، قدموا إلى المدينة بحثًا عن النبي المنتظر فلما بعث هذا النبي وجدوه عربيًا وليس من بني إسرائيل ، كرهوه ، وعاهدوه على مضض ولما حانت لهم الفرصة خانوه ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه فعاقبهم الله بالشتات فاستأنفوا رحلة الضياع من جديد بعد أن حاصرهم المسلمون، فصاروا يخربون بيوتهم غيظًا وحسدًا حتى لا يستفيد منها المسلمون، من بعدهم، لكن الغيظ القاتل جلل اليهود. ورافقهم عندما وجدوا المسلمين أنفسهم يخربون تلك البيوت ولا يكترثون، فالمسلمون لم يحاصرا بني النضير من أجل بيوتهم وأموالهم، بل لأنهم خونة، وإذا كان اليهود يرون في تلك البيوت ثروة للمسلمين فالمسلمون لا يريدون تلك الثروة ولا يقبلون بقاء الخونة بينهم أو في جوارهم.

(18)

(166/2) هذا هو الإسلام ، وهؤلاء هم المسلمون ، وهذه هي التربية الإسلامية التي لا تنحصر بين أروقة المساجد وجدران البيوت ، تربية تنتشر في كل اتجاه وتصاحب المؤمن في كل مكان وتحت أي ظرف ، في أوج الحروب وبين بريق السيوف والدماء يتوقف المسلمون ليسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صحة تصرفهم مع سحوق أو فسيلة نخل ، الإسلام يربي أصحابه في التعامل مع كل شيء حتى مع جذوع النخل بعد أن أرشدهم إلى التعامل مع جذوع الخيانة وجذورها اليهودية.

(19)

(320/2) زريبة للنساء، هذا هو أقل وصف أصف به أماكن تواجد المرأة اليهودية ، أمّا المرأة نفسها عند أولئك القوم فهي أقل رتبة من الحيوان ، أقل رتبة من الخنازير القذرة ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيت، فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " جامعوهن في البيوت، واصنعوا كل شيء غير النكاح، فقالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئًا من أمرنا إلَّا خالفنا فيه ".

(20)

(2/321-322) لننسَ ما كان يفعله اليهود والنصارى في السابق، ولنقل إنهم يمثلون أنفسهم فقط ولا يمثلون الدين اليهودي والنصراني، لننس ذلك ولنتوجه إلى يهود اليوم ونصارى اليوم الذين أزعجونا وأزعجوا نساءنا حول تحرير المرأة ، والمناداة بحقوقها ، ماذا يقول دينهم الآن ، ماذا يقول كتابهم المقدّس اليوم وبعد ألفي عام من المراجعة والتمحيص والدراسة ، ربما نجد سرّ هذا الضجيج ، أمامي الآن كتابهم المقدس وهو يتحدّث عن المرأة ، فيقول:
"وإذا كان بامرأة سيلان دم من جسدها كعادة النساء:
فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من لمسها يكون نجسًا إلى المغيب، وجميع ما ترقد عليه أو تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من لمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسًا إلى المغيب.
ومن لمس شيئًا مما تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجسًا إلى المغيب.
إن كان فراشها أو ما هي جالسة عليه شيء: فمن لمسه يكون نجسًا إلى المغيب.
إن ضاجعها رجل فأصابه شيء من دم الحيض - فكم تتوقعون مدة نجاسته؟ إلى المغيب؟ لا. الكتاب المقدس يقول: يكون نجسًا سبعة أيام. وكل فراش يستلقي عليه يكون نجسًا" إن معنى هذا الهراء أن الرجل يحيض أيضًا.

(21)

(2/323) بل إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصرّ على أن تأكل عائشة وتشرب قبله وهي حائض بل يقسم عليها ، ثم يقوم بحركة تتوهج منها الرقة والحب ، حركة تدخل السرور إلى قلبها ونفسها ، لقد جاء رجل فسأل عائشة رضي الله عنها: " هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث؟ قالت: نعم، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوني فآكل معه وأنا عارك، كان يأخذ العَرْقَ ، فيقسم عليّ فيه، فأعترق منه، ثم أضعه، فيأخذه، فيتعرق منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من العرق، ويدعو بالشراب، فيقسم عليّ فيه من قبل أن يشرب منه، فآخذه فأشرب منه، ثم أضعه، فيأخذه فيشرب منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح" ، أين هذا من دين اليهود والنصارى الذي يعاملون المرأة كمخلوق من الدرجة العاشرة ، مخلوق نجس ، أنجس من النجاسة نفسها ، كل شيء تلمسه يتنجس ، كل شيء يلمسها يتنجس ، كل من لمس شيئًا لمسته ينجس ، أي أن المرأة لا يمكن أن تبقى في المنزل وإلاّ أصبح المنزل نجسًا ملوّثًا تجوبه الآثام والشياطين ، لا بدّ من وضع النساء اليهوديات والنصرانيات في زرائب خاصة نجسة ، حتى ينقطع دم الحيض عنهن .

(22)

(3/25-26) كم هو حجم ذلك الخير الذي يحصل عليه من ستر على مسلم ، وحافظ على نقاء صورته أمام المجتمع "من ستر أخاه المسلم ستره الله في الدنيا والآخرة" ولما " أتي ابن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا. فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسّس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به" لـ" أن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم" والإسلام لا يريد إفسادهم، ولا أذيّتهم.
هذه بعض حقوق الإنسان -أي إنسان- في الإسلام، دمه وماله وعرضه مكفولة الحماية، بل إن الدهشة لتحاصر المرء عندما يعلم فداحة الجرم الذي يرتكبه أولئك السابحون في أعراض إخوانهم، المنقّبون عن عيوب الناس لينشروها.

(23)

(3/39-40) أما رأس الحية وسمّها ومنبع قيح الإفك فهو زعيم المنافقين: عبد الله بن أبي بن سلول الذي ذهب يزرع المدينة، شوارعها ومجالسها، بلسانه المتعفّن، حوله الحقد إلى رجل بلا قيم، بلا أخلاق، رجل لا يحترم مكانته بين قومه، رجل فقد عقله فأصبح كالأبله لا همّ له ولا شأن سوى عائشة الصغيرة، يتشفّى بذكرها واتّهامها، بعد أن فقد الأمل في الحصول على زعامة أو حتى مكانة محترمة في المدينة، بعد أن أحرقته عيون أهلها باحتقار شأنه، والتقزّز منه ومن مجالسه وجلسائه، الذين هم خليط من عفن الشرك واليهود والخونة، هذا هو ابن سلول وهذه هي عقيلته الصغيرة، فهو الذي تولّى كبر الإثم ومعظمه.

(24)

(3/65) بساتين الحب التي زرعها - صلى الله عليه وسلم - ونسق شجيراتها وأزهارها، تدلّلت فيها عائشة، ورفرفت فيها كالطير، كالعبير، حتى كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة "يبتغون مرضاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -".

(25)

(3/94) هؤلاء المنافقون هم الذين قال الله عنهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، أمر هؤلاء المنافقين محيّر ومزعج ، لا تدري ماذا يريدون ، ولا ما هو مبدأهم ولا هدفهم ، ولا تستطيع تمييزهم بسهولة. الكفر مرض والنفاق مرض، وجسد الدولة الإسلامية يستطيع الاحتياط والوقاية من مرض الكفر، لكن عندما يتسلّل هذا المرض إلى الداخل، تبدأ رحلة طويلة ومريرة من العلاج وتناول الأدوية والعقاقير للقضاء عليه.
وفي غزوة الخندق كانت الدولة الإسلامية تحتاط بالخندق من الوثنيين ، لكن من الصعب القضاء عليهم وهم يتظاهرون بالإيمان ، لا سيما في هذا الوقت الذي انتهى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من حفر الخندق ، ووصل فيه أحزاب الأصنام إلى مشارف المدينة ، وعسكروا أمام الخندق ، وبدأ حصار قاسٍ وشديد على المدينة ، عندها بدأ المنافقون يظهرون كالبثور الكريهة المتقيّحة على جسد المدينة ، في هذه الظروف الحرجة ظهر نفاقهم وكفرهم وحقدهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة ، ومع ذلك كلّه تمتّع - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بأكبر قدر من ضبط النفس ، وعدم التهوّر بإيقاع أي عقوبة على أولئك المنافقين ، الذين فاحت خيانتهم من خلال كلماتهم ، ونظراتهم وحركاتهم التي كانت تفتقد إلى أقلّ معاني الرجولة والنخوة .

(26)

(3/180) يقول الشاب المجاهد عبد الله بن عمر رضي الله عنه: "كانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده اليمنى:
هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان"
هذه هي منزلة عثمان لدى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا هو مدى ثقته به وبإيمانه.

(27)

(3/251) ومن أسرار عظمة الإسلام تسليطه الأضواء على الجمال مهما كانت الأجواء معتمة والعقول مشغولة والنفوس مشحونة ، فالإنسان في ظرف كظرف الحرب والاجتلاد أو الحماس تمنحه نفسه ويمنحه حماسه مسوغات عديدة للقيام بممارسات قد تؤلم غيره فيتجاوز أهداف خروجه ، هنا يتميز الإسلام عن غيره من الأديان ، فلا مذابح جماعية ، لا انتقام ، لا تهور ، لا سلب ولا نهب ، بل انضباط والتزام وإلا فإنه ليس بجهاد ، والموت فيه ليس بشهادة.

(28)

(280/3) الشعور بالتفوق على الآخرين مهما كان رصيده من الظاهر والباطن ، لا يجيز لصاحبه التطاول على الآخرين وانتقاصهم تحت أي مبرر ، فالحكم على الآخرين من خلال ظواهرهم غير دقيق إلا في حالة فساد الظاهر فسادًا ينم عن عفن الباطن ، وهناك فرقٌ بين الحكم على الشخص والحكم على سلوك صادر عنه ، الشعور بالتفوق قد يدخل في الكبر ، والكبر شيء خطير.

(29)

(290/3) سرايا تحدد صلاحيات المجاهد المسلم، فهو لم يخرج من بيته وبلاده ليملأ بطنه أو جيبه ولم يخرج ليرضي غرورًا تراقص في رأسه ، هو محارب مميز بين كل المحاربين ، لم يخرجه من بيته سوى شيء واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا ، ولكي يكون هذا الهدف نقيًا بين جوانحه عليه -قبل أن يخرج- أن يدفن تحت بوابة مدينته أشياء كثيرة منها: المال والشهرة والهوى والرغبة في الانتقام للنفس و ، و ، لكي يتفرغ لشيء واحد هو إعلاء التوحيد لا فرضه بالقوة ، فإذا لم يتمكن من دفن تلك الأشياء فإنها ستنغص عليه جهده وجهاده إن لم تحوله إلى رماد لا قيمة له .

(30)

(304/3) وصل - صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة ، لكن حياة من نذروا أنفسهم لإزالة تجاعيد الأرض وأحزان القلوب بالإيمان والتوحيد لا تعرف الهدوء ما دام هناك شبر يئن من وخز الأصنام والأوثان ، فالقضية ليست بحثا عن الغنائم أو سعيًا وراء دفع حدود الدولة الجديد إلى الأقصى الممكن ، هي النبوة والتوحيد ومن حق كل البشر الحصول عليها وليس من حق من يحملونها الاستئثار بها وحرمان الآخرين من التمتع بها ، وليس من حق أحد مهما كان منع صوت التوحيد من الوصول إلى القلوب .

(31)

(346/3-347-348) أبو بكر الصديق يتمكن من سرقة رافع ، السرقة هنا ليست على طريقة رافع الطائي بل على طريقة أبي بكر الصديق وفي وضح النهار وعلى مرأى من الجميع، ففي تلك الأجواء والليالي الباردة جدًا كان دفء أبي بكر وعطفه يغمران رافعًا حتى أحس بقلبه ومشاعره بين يدي الصديق ، كان رافع مأخوذًا بصاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورفيق عمره وكأنه قد هبط عليه من السماء ، يقول رافع: "لما كان غزوة ذات السلاسل قلت اللَّهم وفق لي رفيقًا صالحًا فوفق الله عَزَّ وَجَلَّ أبا بكر رضي الله عنه فكان ينيمني على فراشه ويلبسني كساء له من أكسية فدك فإذا أصبح لبسه ولا يلتقي طرفه حتى يخله بخلال " أي يجمع طرفي ثوبه بعود أو إبرة ولذلك صار رافع ينادي أبا بكر: يا ذا الخلال ويواصل رافع حديثه فيقول "رافقت أبا بكر في غزوة ذات السلاسل وعليه كساء له فدكي يخله عليه إذا ركب ونلبسه أنا وهو إذا نزلنا" كانت مشاعر أبي بكر الفياضة تعرف طريقها إلى أحوج الناس إليها ولم يكن هناك أحوج إلى الرعاية والعطف من هذا الشقي الهائم في البراري والجريمة ، قدم له أبو بكر كرمًا وخلقًا ساحرين جعلته يتعلق به دون غيره ، ومارس أبو بكر دور الداعية الناضج بالتربية المحمدية السخية ، لم يحدثه عن الإسلام جعل أخلاق الإسلام تتحدث إليه ، تغطيه وتدفئه وتحنو عليه ، جعل أخلاق الإسلام تقله وتظلله حتى ذهل عن كل شيء سوى الإسلام ، استحضر دفاتره وحسابات عمره وأحصى ماله وما عليه فرأى بقلبه الذي ولد اليوم على يد أبي بكر أشياء جميلة ورائعة تمر بين يديه وهو غافل عنها ، رأى بذلك القلب كم هي المسافة بينه وبن هؤلاء القوم الذي يتولى بنفسه إرشادهم إلى دربهم ، هي المسافة بين من يحلق في الأجواء وبين من ينحشر في الجحور ، رايات سوداء لكن القلوب بيضاء ترفرف في سعادة غامرة ، لا خمر لا سباب لا بغضاء ولا عداوة ، نظافة وطهارة وانتظام وصلاة وحب لا مثيل له ، أما هو فسطو وقتل ونهب وغدر وخمر وفر وحياة أذل من حياة حيوان تطارده كل وحوش الأرض .

(32)

(4/12-13) هذه الجريمة لن تمر دون عقاب رادع يوقف قريش ومن معها عند حدهم ، ولن يوقفهم عند حدهم إلا إجراء بالغ الصرامة ، لن يوقف تآمرهم وكفرهم إلا: فتح مكة، فهذا النوع من البشر يستنفذ منك كل طاقات الإقناع والسلام والعفو والحكمة والموعظة الحسنة ، بل هو ينظر إلى هذه الأنماط السلوكية في الدعوة على أنها ضرب من ضروب السذاجة والسطحية والغباء تستحق الانتهازية والاستغلال والمماطلة ما أمكن ، هذا النوع لا يخضع للحق رغم سطوعه كالشمس في عينيه ، لكنه يسرع إليه إذا رأى شعاع الشمس منعكسًا على شفرة سيف حاد .

(33)

(4/36-37) هذا النبي العظيم الذي ينحدر كالسيل نحو مكة العطشانة ، ولما وصلها لم يجد في طرقاتها سوى الهواء النقي والذكريات الجميلة والمريرة ، هنا ولد وهنا كان يتهادى طفلًا وهنا كان يلعب مع أبي بكر وأصحابه ، وهنا كانت أمه الحبيبة تناديه وتحمله وتلاعبه ، هنا كان يسير مع جده وعمومته وأبناء عمومته ، هنا التقي بخديجة وهنا تزوجا وهنا ولدت زينب وفاطمة وأم كلثوم ورقية ، من هنا جاء يخبر خديجة عن جبريل ، وهنا دعا الناس وهنا كذبه الناس وهنا صدقوه وهنا ناصروه وهنا خذلوه وعذبوه ، هنا مكة ما أطيبها وأطيب ريحها ، ذكريات تطوف لا شك بروح أبي بكر وبلال وعمر وعمار وعلي وعثمان وخباب وصهيب وبقية المهاجرين من مكة ، لا بد أن بعض الدموع والزفرات خالطت فرح السير في طرقات مكة الجميلة، مواكب الإيمان الجارفة ونشوة النصر العظيم لا تسكر الفرسان المؤمنين عن شكر الله وذكره ، يقول أحد الصحابة الذين كانوا يرقبون النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح وينصتون إليه : " رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع" أي يردد القراءة في الحلق.
كان لسانه ممتنًا لله الذي أكرمه بنصره ، ولم يكن لسانه هو الممتن فقط كان قلبه بل كانت طريقته وهو يتقدم ذلك الجيش الضخم الممتزج بعظماء الرجال تنضح بالتواضع في أرق صوره وأعظمها ، لم يكن - صلى الله عليه وسلم - وحده على ناقته ، لم يكن مردفًا أبا بكر سيد المهاجرين ولا سعد بن عبادة سيد الأنصار ولا حتى سيدًا من سادات العرب ، كان - صلى الله عليه وسلم - يردف شابًا أسودًا صغير السن اسمه أسامة ابن أمير مؤتة الشهيد: زيد بن حارثة ، وبجانبه صاحبه الحبشي بلال بن رباح وهو في طريقه نحو تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة ، لكنه كان أثناء الطريق يحطم أصنام الجاهلية داخل النفوس ، يحطم الفخر بالآباء والأجداد ليشيد التنافس على الإنجاز والإبداع ، كان - صلى الله عليه وسلم - وفي لحظات النصر يؤكد تمسكه بمبدأ المساواة التي طالما اختبأ خلفه دعاة مذهب فإذا ما انتصروا تنكروا له ، مشهد جميل ورائع للنفوس المؤمنة والمتحضرة لكنه لا شك يؤذي نفوسًا غارقة في دبق الجاهلية والتخلف .

(34)

(4/52-53) مشهد مهيب وجليل اختفت فيه الأصنام والأزلام وبقي فيه التوحيد نقيًا دون شوائب ، مشهد مهيب أخذ عقول الطلقاء إلى المقارنة بين صلاة هؤلاء المؤمنين الخاشعين الراكعين الساجدين وبين صلاتهم المليئة بالجهل والتخلف والهمجية {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} أي ما كانت صلاتهم إلا تصفيرًا وتصفيقًا كما كانت تعريًا أيضًا ، وقد تمكن - صلى الله عليه وسلم - من استمالة كل مكة إلى الإسلام في تلك الفترة القصيرة حتى هذه المرأة زوجة أبي سفيان التي كانت تحمل ضد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ثارات وأحقادًا سوداء تتجه إليه مختارة طائعة لتبايعه بعد أن أذهلتها أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وسماحته وعدالته عن كل ما مضى ، تقول عائشة - رضي الله عنها -: "جاءت هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله ، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك ، قال: وأيضًا والذي نفسي بيده ، قالت: يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: لا أراه إلا بالمعروف" أي خذي من ماله قدر ما تعارف عليه الناس من مصروف.
إن إسلام هذا الكم من البشر في هذه الفترة القصيرة يوحي بحقيقة ثقافة المنتصر المقنعة وأنها لا تحتاج إلى الكثير من العناء للقبول ، لأن كل أدوات العناد الهزيلة لا تستطيع التماسك أمامها ، أما إذا كان من يحملها دون سلطان أو دولة فالثقافة المقنعة تحتاج إلى رجال كمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المهاجرين والأنصار يحملونها بسلوكهم وتعاملهم ورحمتهم لا بالتزامهم في جانب العبادات فقط ، فالعبادة بين الإنسان وبين ربه وقد تنقع فئة قليلة من أصحاب العقول وممتازي البشر ، أما دهماء الناس فتنتظر وتنظر دائمًا إلى من يقدم لها شيئًا يروي غليلها ويحقق أحلامها بسلوكه وإنجازه ، عندها يجد التوحيد دروبًا فسيحة نحو النفوس ، وهذا ما يفعله محمَّد - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الكرام اليوم على أرض مكة وتحت سمائها .

(35)

(4/57-58) ويأتي العيد فيصلي المسلمون العيد ويخطب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين ثم يحتفل المسلمون بعيد الفطر في مكة ويرى الطلقاء كم هو جميل هذا العيد بالإسلام وكم هو جميل هذا الإسلام الذي طالما أغواهم العناد والشيطان بتشويهه ، ويرى الطلقاء هذه الاحتفالية الإسلامية المدهشة فمكة صاخبة بالحركة والحب والتراحم أكثر من عشرة آلاف يفزون جميعًا خمس مرات يوميًا للصلاة ثم يرونهم بعد أداء الصلاة حول المسجد يتحادثون بود يتبايعون بأمانة ويقرضون دون ربا ويواسي بعضهم بعضًا ويقضون أوقاتًا ممتعة ومرحة تدخل البهجة على النفوس ، أهذه مكة التي كانت قبل أيام بطيئة مملة كئيبة ملوثة الأجواء بالأصنام والطبقية والعنصرية والربا والأحقاد ، لو لم يكن هذا الرجل نبيًا لما تغيرت مكة هذه الطريقة المعجزة ولو بعد آلاف السنوات ، لكن هذه الأجواء الساحرة تظل بشرية بحتة لكنها موجهة بالوحى النقي والعادل ، وما دامت بشرية فلا بد من الزلل والخطأ .

(36)

(4/111-112) وقف خالد بن الوليد وكان من بين جنده شاب تضلع بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهديه وسمته هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وقد كان جنديًا مطيعًا لإمامه الذي عينه عليه النبي عليه السلام ، غير أن ذلك الجندي المطيع لله ولرسوله وولي أمره سرعان ما أبدى احتجاجه على أمره وتبرمه من تصرفه ، كل ذلك كان يحدث دون حقد أو شحناء بين الشاب وقائده ، إنما هي الحرية التي منحها الإسلام لأتباعه في محاسبة القائمين عليهم وإنكار المنكر حتى في حالات تفوق حالات الطوارئ خطورة كحالة الحرب التي يخوضها ابن الوليد اليوم ، تلك السماحة التي جعلت فتى الإسلام يقول: "بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره.
فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره".

(37)

(4/120-121) عند الوداع بكى الرجال، فبعد أن رجوا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحملهم اعتذر من لهفهم وقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه ، عندها فاضت محاجرهم بالدموع وعادوا من حيث أتوا مكسوري القلوب وألم الحرمان يملأ صدورهم ، دموع تفيض لأن الفقر يحول بينهم وبن معانقة الموت والشهادة ، دموع خلدت أصحابا وتردد ذكرها على مر الأجيال ، أولم يكفهم فخرًا أن يذكر ربهم دموعهم ويتحدث لعباده عنهم ، نزل جبريل بكلام الله الذي يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿91﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿92﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
وهؤلاء هم المنافقون الذين يملكون من الوقاحة والأعذار أرصدة طائلة، هذا أحدهم جاء يعتذر فقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عذره لكن لم يهنأ بالقعود حتى أنزل الله فضيحته آيات ترددها المدينة في الطرقات والمساجد والبيوت وترددها الدنيا، نزل الوحي يفضح المنافقين ويشد أزر المؤمنين الذين تثاقل بعضهم مفضلًا تأجيل الخروج إلى ما بعد الحصاد.

(38)

(4/297) الموت، الذي لا ينتظر أحدًا من البشر حتى الأنبياء منهم ، وفي لحظات الكرب وشدة سكرات الموت كانت فاطمة تشاهد حركة أبيها من شدة الألم وذلك "لما ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل يبسط رجلًا ويقبض أخرى ويبسط يدًا ويقبض أخرى قالت فاطمة يا كرباه لكربك يا أبتاه ،. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي بنية لا كرب على أبيك بعد اليوم".

(39)

(4/316) وحانت ساعة الوداع المريرة ، حان وضع الحبيب في قبره فلن تراه العيون بعد اليوم إلا يوم القيامة، حانت ساعة النحيب المر في ليلة كان السهر والحزن هو الجليس لأهل المدينة ، حيث حمل النبي - صلى الله عليه وسلم - من فوق السرير فاستلمه علي ومن معه في القبر فأدخلوه في اللحد على جنبه الأيمن باتجاه القبلة ثم جعلوا اللَّبْنَ منصوبًا على اللحد ، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يشهد المنظر ويقول لمن حوله: "ألحدوا لي لحدًا وانصبوا علي اللبن نصبًا كما صنع برسول الله - صلى الله عليه وسلم -".

(40)

(4/317-318) ثم أهالوا التراب والدموع عليه وبكاه من في بيت عائشة ومن في المسجد ومن في الطرقات والمنازل ، بكوا ذلك النبي الذي كان أرحم الناس بهم وأحب الناس إليهم ، بكوا محمدًا الذي كانت مصيبة موته تخفف كل المصائب التي تمر بالمؤمنين ، محمدًا الذي فارق الحياة جسدًا لكنه بقي سنة ومنهجًا ، نهض الصحابة من عند قبره مثقلين بالكمد محملين بسنته وقرآن ربه وربهم ، نهض الصحابة بعد دفنه ولم يعكفوا عند قبره ولم يحولوا ذلك القبر إلى مزار مرصع بالجواهر مطلي بالذهب ، بل إن عائشة استمرت في السكن في بيتها ولم تفارقه ، أما الصحابة فلم يضيعوا أوقاتهم عند قبره بتلاوة الأشعار والمدائح والبكائيات الفارغة بل ولا بقراءة القرآن ، لقد علمهم عليه الصلاة والسلام كيف يصنعون الحياة ، كيف يشرقون كالشمس في عروق المستقبل والأجيال ، نهضوا من عند قبره فحملوا رسالته إلى العالم لينقذوه بها كما أنقدهم هو قبل ذلك بها ، فصلى الله عليه وسلم وجزاه عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته وجمعنا به في جناته.